حول توحيد المصطلحات العلمية

الأستاذ / أحمد شفيق الخطيب(*)

في تـأريخ تطوُّر اللغات يقولون إنّه عندما ينشأُ المفهومُ، تدريجيّاً أو فُجاءة،سرعان ما يتنشأله اسم يعرف به أو يستدل به عليه. وقد يحمل هذا المفهوم اسمه معه،أو يلتمس له مقابل من اللغة حسبما توحي به علائق الاشتقاق أو القياس أو المجاز. وفي هذه الحال تنقل له اللفظة الاسم من معناها اللغوي إلى معناها الجديد وتسمّى مصطلحا.

ومـتى ترسّـخ هـذا المصـطلح عـن طـريق الاسـتخدام ووسـائل الاتصال والإعلام يدخل كتب الدّراسة والبحث ويثبت في المعاجم.

وهـذه المقولـة كما تنطبق على لفظ "سيّارة" كما ورد في سورتي المائدة ويوسف من القرآن الكريم(1) وصار إلى مصـطلح "سـيّارة" المسـتحدث، تنطبق أيضاً على كلمة "مصطلح" نفسها. فلفظ "مصطلح"، من صلح أو صلُح صلاحاً وصـلوحاً وصـلاحةً، بمفهومـه الحـاليّ،لم يدخـل المعـاجم إلاّ أواسط هذا القرن –فلا ذكر له في المعاجم التُّراثية ولا حـتى في الطبعات الثلاث من المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، إلاّ إذا اعتبرناه كاسم مفعول من "اصطلح" وارداً ضمنا من جملة مئات ألوف الاشتقاقات المكنة التي لا توردها المعاجم.

فالمعـاجم العـربية تضـمّن مفهـوم المصطلح لفظة "اصطلاح". صاحب محيط المحيط يقول في "اصطلاح": "إنّه العـرف الخـاصُّ، وهو عبارة عن اتفاق القوم على وضع الشيء؛ وقيل هو إخراج الشيء عن المعنى اللغويّ إلى معنى آخـر لـبيان المـراد منه، وذلك لمناسبة بينهما كالعموم والخصوص، أو لمشاركتهما في أمر أو مشابهتهما في وصف إلى غير ذلك، ج.اصطلاحات".

والوسـيط يعرّف « اصطلاح » بالمفهوم نفسه مطوراً نوعاً حيث يقول: « الاصطلاح مصدر اصطلح، و ~ اتفاق طائفة على شيء مخصوص، ولكل علم اصطلاحاته".

لكـنّ لفـظ "مصـطلح" فـرض نفسه، بالانتخاب الطبيعي والاستعمال، كمدخل مستقل. أليس اللغة كائناً حيّاً يـنمو ويـتطور ويـتأثّر بالبيـئة،كما كـل الكائـنات الحية؟،فـنجد المعجـم الوجيز،لمجمع اللغة العربية،وليد المعجم الوسـيط يـتجاوز عـرابه، فيضـيف في تعـريف "اصطلاح" تحديد "أنه اتفاق في العلوم والفنون على لفظ أو رمز معيَّن لأداء مدلول خاص". ثم يورد لفظ "مصطلح" كمدخل مستقل، تاليا، بالمعنى الذي أضافه في "اصطلاح".

قيـل "المصـطلحات هي لغة التفاهم بين العلماء، ولكل علم اصطلاحاته" – هذا صحيح؛ لكن قسماً وافراً من المصـطلحات في مختـلف المجـالات غـزانا في المنزل والشارع والحقل والهواء والفضاء من حولنا – نرى آثار ذلك في

ملبسنا ومأكلنا ومشربنا وتسلياتنا، شيباً وشبّاناً، وفي ألعاب أطفالنا وسائر محتويات بيوتنا، كما في متاجرنا ومدارسنا وجامعاتنا وشتّى مناحي حياتنا. إنّ الغمر الحضاريّ الذي اجتاح الوطن العربيّ، ولو سطحياً أُفُقيّاً في معظمه، خلال بضعة العقود الماضية أغرقنا بمستوردات الحضارة الحديثة – حاجيات وتقانيات وأفكارا ومخترعات وأساليب عيش في مختلف المجالات الحياتية والاقتصادية والعلمية والصحية والاجتماعية. وكان لا بدّ لأم اللغات من تسميات لهذه المستجدات. فكان أن انبرى المترجمون واللغويون والأدباء والصحافيون والمعجميون، ثم المجامع والمؤسسات والاتحادات المهنية، لوضع مقابلات تعرف بها هذه المستجدات وتتداول كمصطلحات.

لقد غدت المصطلحات جزءاً مهمّا من اللغة العربية، كما من كلّ اللغات المعاصرة – باعتبارها مفاتيح للمعرفة الإنسانية في شتّى فروعها، ووسيلة التفاهم والتواصل بين الناس في مختلف المجالات العملية والعلمية.

وكان من الطبيعي والوطن العربي في الأوضاع التي كان عليها، والتي لا يزال الكثير منها قائما فعلا – ولو مرفوضاً قولاً؛ كان من الطبيعي أن تتباين هذه التسميات في أرجاء العالم العربي، أو حتى في القطر الواحد نفسه منه قليلاً أو كثيراً.

هذا التباين كانت له خلفياته ومسبباته – أستعرض بعض أهمِّها في ما يلي:

المعروف أن العالم العربي، منذ بدأ يفيق من غفوة عهد الظلمة الذي دمس عليه قرابة خمسة قرون، تنازعته قوى سياسية طبعته إجمالاً بثقافتين مختلفتين – انكليزية في بعض أقطاره، وفرنسية في بعضها الآخر – معاملات إجرائية بدءاً، ثم درساً وثقافة وبعض علم، ثم مصدراً يترجم عنه كل ما يمت بصلة إلى العلم والثقافة ومختلف أسباب الحضارة. وبالطبع، انعكس اختلاف لغات المصدر تباينا في مصطلحات المفاهيم العلمية والتقانية وغيرها، للمفاهيم نفسها.

فصار عندنا مثلا آزوت ونتروجين ، فحم وكربون ، أمينت وأسبست ، علبة السرعة وعلبة التروس (أو المسننات) ؛ مخروط الانصباب é ومروحة غرينيّة ، ثم نظّامة (أو رتّابة) وحاسوب (أو حاسب الكتروني) ، الخ.

ومن التباين ما جاءنا عن لغتين أخريين، كما في طماطم (عن الانكليزية)، وبندورة (عن الإيطالية) (2).

أو كأن تقول في تسمية العناصر الجديدة مما وراء اليورانيوم، كورشتوقيوم للعنصر 104 (عن الروسية)، وروثرفورديوم (عن الانكليزية)، أو نيلزبوريوم للعنصر 105 (عن الروسية) وهاهنيوم (عن الانكليزية)(3).

وقد يأتي التباين عن مرادفات للمفهوم الواحد في اللغة الأجنبية نفسها فنقول : في مخمد الصوت، وفي كاتم الصوت. كما صمام في وأنبوبة في . حين كلاهما لمسمّى واحد في الانكليزية – بريطانيّا أو أمريكيا.

ونقول في جسر قلاّب،

وفي مرادفه جسر أو قنطرة موازنة،

وفي ثالث ترادفه قنطرة الثقل الموازن

أو نقول فيها جميعا جسر قبّان.،

وفي ، في سياق كهربائي، نقول مكثّف (كهربائي)، وفي مرادفه الأوسع انتشاراً حديثاً(4) نقول مواسع، وغالباً اليوم مكثّف.

وقد تزيد مرادفات المصطلح الأجنبي، فتتزايد مصطلحاتنا العربية المترجمة تبعاً لذلك –كما في المصطلح الجغرافي: ومرادفاته أو) أو) بين مستجمع أمطار أو أرض تجميع أو منطقة تجميع أو حوض تجميع أو حوض الصرف أو منطقة الصرف أو مستجمع فقط فيها جميعاً.

كذلك تعدّدت المصطلحات حتى ضمن القطر الواحد نفسه نتيجة صدورها عن مصادر متعددة – أفراد متخصصين أو أساتذة أو حرفيين أو صحافيين أو مترجمين أو مؤلفين أو معجميين، يعملون بأذواق مختلفة ومنهجيّات مختلفة –قياساً واشتقاقاً ومجازاً ونحتاً وتركيباً مزجيّاً وترجمة حرفيّة أو تصرفية أو تعريباً لفظيا؛ ومع ثراء العربية الواسع في المفردات والمرادفات يصبح عدم تباين المصطلحات هو المستغرب. حتى المصطلحات التي صدرت عن الاتحادات العلمية وهيئات التوحيد والتنسيق والمجامع لم تخل من هذا التباين، وهي التي تعمل في شتى أقطار الوطن العربي بمنهجية موحدة شاركت كل المراجع والهيئات المصطلحية العربية في إقرارها في "ندوة توحيد منهجية وضع المصطلحات الجديدة » التي عقدت في الرباط عام 1981 بدعوة من مكتب تنسيق التعريب والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم(5)، حتى قيل إن مشكلتنا مع المصطلح العلمي الأجنبي لم تعد في تعريبه بقدر ما هي في توحيده.

إنّ بعض العلماء والطلاب العرب مثلا ما زالوا يستخدمون المصطلح معدن مقابل –التي يقول فيها آخرون فلِزّ، ويصطلحون على معدن لمصطلح . والذين يمعدنون يصطلحون على فلِزّ مقابل . وقسم كبير من طلاّبنا في سوريا لايزال يفهم لفظة بمعنى ذرّة (وليس فيهم طبعاً من لم يسمع بالقنبلة الذريّة). حتى طلاّب السنة الخامسة في كلية الطب يتحدّث كتاب لهم في أمراض الدم عن ذرّة الهيموسدرين (وهو بروتين غنيٌّ بالحديد يحوي جزيئه آلاف الذرات) –رغم أن مجمع اللغة العربية في دمشق عدّل هذا التباين مؤخراً، ليوافق ما هو متعارف في الأقطار العربية الأخرى. ولعلّ ذلك هو من قبيل قوّة الاستمرار التي يطلق عليها أيضا مرادفا "القصور الذاتي" و "العطالة".

وفي التقسيم النباتي يحتار المرء في الإشارة إلى طائفة –

– هل هي الطُّحلبيات، كما هو المصطلح القاهري؛

أو الأشنات، كما هو المصطلح الدِّمشقي؛

وكذلك إلى النباتات – هل هي الحزاز، كما هو المصطلح القاهري؛ أم الطحالب، كما المصطلح في دمشق؛

ومثلها النباتات –هل هي الأشنات، حسب المصطلح القاهري، أم الحزاز، كما المصطلح الدمشقي – رغم أن الأمير مصطفى الشهابي العريق في رئاسة مجمع اللغة العربية في دمشق وعضوية مجمع اللغة في القاهرة يقول « وأظهرت دراساتي أن الاستخدام المصري أقرب إلى الصواب »(6).

وكنت منذ حوالي عشرين عاما قد قابلت مصطلحات مشتركة من حرف في الجغرافية والجيولوجية في معجمين متخصِّصين صدرا عن مجمع اللغة العربية، في سياق مقدمة كتبتها لمعجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية لاحظت فيها بعض التباين. وقد خطر لي إعادة المقابلة على الطبعتين المجدّدتين من المعجمين(7) بعد توحيد المنهجيات، فكان الجدول التالي(8):

المصطلح الأجنبي	**المرادف العربي في المعجم الجغرافي**	**المرادف العربي في معجم الجيولوجية**
	تذرية، تلاشٍ	تذرية، تلاشٍ
	كانت سحج في طبعة سابقة	كانت تذرية في طبعة سابقة
	بري، سحج	سحج، بري
	كانت سحج في طبعة سابقة	كانت بري في طبعة سابقة
	الصخور الغورية	الصخور العميقة، صخور الأعماق
		كانت صخور الأعماق
	رسابات هوائية	الرواسب السفوية (الريحية)
	كانت رواسب هوائية	كانت رواسب ريحية
	راهصة بركانية	رصيص بركاني
	سهل غريني	سهل طميّ
	حدبة	حنيرة، تحدّب
		كانت قبو، طيّة محدّبة
	حدبة متغضنة	حنيرة مركبة
		كانت تحدّب مركّب
	طبقة خازنة للماء	مكمن ماء أرضي

		كانت مستودع ماءٍ أرضي
	الحقب الأركي	الحقب السحيق
	برخان	كثيب برخاني، قوز
	بازلت، نسف	بازلت
	سنام غائر	باثوليت
	تأكّل طبيعي	تحات طبيعي
( )	صدع الجليد	شقوق جليديّة
	حطام	حتات (فتات)
	مصب خليجي	مصب نهريّ
( )	صخور طفحية	صخر نابط
	نافثة	داخنة
( )	بحر جيولوجي	قعائر عظمى
	تجلد	تثلج
	حصى	جرول (جراول، حصى)
( )	ترقين، هاشور	تظليل
	كتيم	الطبقة الصمّاء
	جبل اندفاعي	النّتق
	بصرة، تربة حمراء	لاتيرايت
	غلاف صخري	الغلاف الحجري (المحيط الحجري)
	ثرى، غلاف الصخر	وشاح صخري (غلاف صخري)
	نجد، هضبة	هضبة
	نشف	الخرفُش، النشف (بيومس)
	رمال رخوة	رمل سوّاخ
	مدد النّهر	الصّرف السطحي
	طفل، طينُ صفحي	طفل، طفال
	خسف	هبوط
	طفال جليدي	حريث جليدي

	سنامة	موجة الميناء، تسونامي

وقد لحظ الزّميل الدكتور صادق الهلالي تباينات من هذا القبيل في مصطلحات المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مرحلة التعليم العام الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، في جزأيه الخاصّين بعلمي الحيوان والنبات بالمقارنة مع مقابلاتها المشتركة في المعجم الطبي الموحد لاتحاد الأطباء العرب(9). وأختار عيناتي هنا ممّا تتباين فيه المصطلحات المشتركة في جزأي المعجم الموحّد نفسه في الحيوان والنبات.

المصطلح الأجنبي	**المرادف العربي (في معجم الحيوان (جـ4)**	**المرادف العربي في معجم النبات (جـ 5)**
	لاصبغي	لالوني
	مواءمة	تكيُّف
	نزف	إدماء (والمتوقع هو العكس)
	تفسُّخ	انحلال، تلف
	تجفيف	نزع الماء
	أحفوريّة، كائن متحجِّر	حفري
	هلامي	جيلاتينيّ
	حلزوني	لولبي
	سبات شتوي	بيات شتوي
	موطن أصغر	بيئة محليّة

وأحياناً يكون التباين في موقعين مختلفين من المعجم نفسه للمصطلح نفسه، فتجد مثلا في معجم الفيزيقا الحديثة(10)، مقابل المدخل المرادف العربي انتشار، ثم بعد صفحات في مقابل ثابت انتقال الصوت. وكذلك مقابل المدخل تجد الاستضواء بالحك، لكنك تجد مقابل ضيائيّة (وهو المرادف الصحيح).

وفي معجم حديث قيّم في العلم والتكنولوجيا(11) تجد مقابل المصطلح المرادف العربي طاردة، لكنّك مقابل المدخل تجد نابذة قرصيّة. وكان يفترض على الأقل إيراد المرادفين طاردة ونابذة مقابل المدخل لتبرير ذلك.

ومـن نوادر هذا التباين أني لحظت في مخطوطة لمعجم في الرياضيات، كلفتنا إحدى وزارات التربية في الدول العـربية بنشره، مقابل المصطلح المرادف العربي اقتران؛ وفي ثلاثين سطراً يشرح المؤلفون ميزات هذا المصـطلح عـلى المـرادف الشائع "دالّة" ثم في أكثر من ستين مصطلحاً مركّباً تابعاً أساسها لفظة مثل ~ ، ~ ، ~ ، ~ الخ لايورد المعجم إلا دالّة.

هـذا التـباين في معظمـه كمـا تلحظون هو ترادف صحيح في غالبيته لمصطلحات أجنبية –فقد يكون المرادفان العـربيان أحيانـا ليسـا صحيحين معجميّا فقط بل إنهما من الشيوع بحيث يتعذّر تفضيل واحدهما على الآخر، كما في : سـحابة وغـيمة مقـابل أو نجـد وهضـبة مقـابل . أو قـد يكون أحدهما أو كلاهما وافياً بالغـرض، لكـنّهما مـتكاملان نوعـاً –يشـرح واحدهمـا الآخـر أو يضـفي عليه مسحة دعم قد تكون ضرورية في فترة مخـاض المصـطلح الـذي لّمـا يترسّـخ، مـثل: كـتيم وطـبقة صـمّاء مقـابل أو نافـذة وداخـنة مقـابل ؛ وفي هذه الحال يدرس أمر تفاضلهما.

وأحيانـاً يكـون المـرادف العـربي صحيحاً أو لا يكون، في مقابل المصطلح الأجنبي المحدّد المفهوم، لإبهام في المعـنى المعجمـي له، مـثل: فـلز ومعـدن مقـابل أو فـلز وخـام مقـابل . ومـثل هـذا الترادف لامجال للتساهل فيه.

وأحيانـاً يكـون المصـطلح الأجنبي ذو المفهوم المحدّد من النوع المميّز بما يتجاوز معناه المعجمي أو المتعارف؛ وفي هـذه الحـال يصـبح تـرادف المصـطلح العـلمي العـربي مرفوضـاً مصـطلحيّاً، ولو كان صحيحاً معجميّاً، كما في: ضيائية واستضواء مقابل أو ، اللذين سيرد تفصيلهما، لاحقا.

أسائل نفسي موقفاً من الترادف أو التوحيد من حين لآخر، فأجدني لا من أنصار الترادف – ولا من مؤيِّدي التشـدُّد المطـلق في قضـية الـتوحيد. فـالواقع الـلغوي والعلمي أيضاً يبدو لي أنه يضع المصطلحات على اختلافها في مسـتويات ثلاثـة: المسـتوى الأوّل، هو المستوى اللغوي المعجميّ المحض – اللفظة كما يشرحها المعجم؛ وهذا لا يد لنا فيه.

والمسـتوى الـثاني هـو المستوى المفرداتي الشائع (المطوّر نوعاً عن المستوى المعجمي). وهذا ينظر في أمره، فقد يكـون الترادف وهميًّا فيرفض، أو صحيحاً تفاضليًّا أو صحيحاً شائعاً راسخاً – فيقبل الراسخ الشائع منه، ويرادف المتفاضلان بأولوية الأنسب، أو يقتصر على الأنسب فقط.

وثـالث المسـتويات هـو المصـطلح المميّز – حيث يعني المصطلح شيئاً محدّداً يتجاوز معانيه المعجمية أو حتى الشائعة. وهذا يتوجَّب توحيده دون تردُّد.

ولعلّي استكمالاً لما أسلفت – أُقدم مثالا يوضح المستويات التي أشير إليها على مصطلحات من مادة ضاء.

يقـول المعجم العربي(12): ضاء، يضوء ضوءاً وضياءً: أنار وأشرق. وأضاء: ضاء، و~ الشيء: جعله يضيء أو يضـوء. وقيـل: أضـيء لي أقدح لك؛ فسَّره بعضهم: كن لي أكن لك، وقيل: كن لي أكثر مما أكون لك، وقيل:

بيِّـن لي حاجتك حتى أسعى فيها. و ~ ببوله: حذف. واستضاء: استنار، و ~ استشار، وفي حديثك لا تستضيئوا بـنار أهـل الشـرك. والضوء: النور وهما مترادفان، أو الضوء لما بالذّات كالشمس والنار، والنّور لما بالعرض كالقمر – مصـداقاً لقولـه تعـالى في سـورة يونـس « هـو الـذي جعـل الشمس ضياءً والقمر نوراً ». فنعتبر الضوء والضّوء والضياء والإضاءة، والاستضاءة بهذه المعاني المصدرية كلّها مصطلحات في المستوى الأول، وهي من اختصاص النحاة.

فـإذا حدّدنـا لفظـي الضـوء والإضـاءة مقـابل و بـالمفهوم العـاديّ (أو حـتى الفيزيائي) نعتبرهما من المستوى المصطلحي الثاني؛ ولا بأس حينئذٍ بالمرادفين (نور وإنارة).

لكن إذا تجاوزنا المفهوم العاديّ وقلنا:

الضياء مقابل بمفهوم "شدّة إضاءة المنطقة أو زهوّها في اتّجاه معيَّن بالنسبة للناظر".

أو قلـنا ضـيائيّة مقابل لمفهوم « ابتعاث الضوء دون عامل حراري »، كضيائية اليراعة أو ضيائية التفسفر أو ضيائية الحك،

أو قلـنا استِضْـواء مقـابل بمعـنى « شـدّة الإضاءة المنبعثة من وحدة المساحة للسطح المضيء (مقيسة بالقنديلة للمتر المربّع)"،

فإنـا حينـئذٍ نـتعامل مع مصطلحات مميزة لاتقبل الترادف –مصطلحات من المستوى الثالث لاتقبل البديل– مصطلحات يتوجّب توحيدها مقابل المفهوم المحدّد علميًّا، والاّ اختلف المفهوم وضاع المعنى.

ان الـترادف في المصـطلحات في مسـتوييها الأول والثاني قد تفرضه طبيعة اللغة أو انحيازية ذوق الواضعين، وهـو في الحالين لايضير العلم ولايضير المتعلمين. وفي غالبيّة الأحوال سيترسّخ المرادف الأنسب بالانتخاب الطبيعي. فالمعنى لايضيع والمفهوم بالتالي لن يختلف في قول القائلين:

معونة فنِّية	أو ~ تقنيّة	مقابل	
تعليق	وحاشية	مقابل	
سمة	وعلامة	مقابل	
تحسُّس	واستشعار	مقابل	
زمن التلمُّس	ووقت التفتيش	مقابل	
ضرر بالصقيع	ودمار بالصقيع	مقابل	
موطن أصغر	وبيئة محلية	مقابل	
رصّ	ودك	مقابل	
أو خطأ فرز	وخطأ تصنيف	مقابل	–

وهـي مصـطلحات يعـود تبايـنها إلى تـباين ألفـاظ تعـوّد الـناس في كلامهم استخدامها لمعنى واحد، وهي في غالبها مصطلحات مستجدّة. ونحن على مدى عمر العربية قديماً وحديثاً ألفنا أمثالها في

غيمة	وسحابة	مقابل
نِقْي	ونخاع	مقابل
تناسل	وتوالد	مقابل
حلزوني	ولولبي	مقابل
ابتعث	وأصدر	مقابل
تغاير	وتباين	مقابل
جذر، أرومة	وأصل	مقابل
خليط، مزيج	ومخلوط	مقابل
رأسي، عمودي	وشاقولي	مقابل
حطّ	وهبوط	مقابل
حثّ	وتحريض	مقابل
أوتعجيل	وتسريع	مقابل

ومـئاتٍ من أمثالها جرت على الألسنة وشاعت، وهي حتّى وإن قلنا إنّ لاترادف في اللغة، فإنها بموقعها في السِّياق المسـتخدم اليـوم في حقـلها، تـتجاوز الفروق الدقيقة بينها كمرادفات يسدُّ واحدها مكان الآخر. ثم ماذا عن المرادفات من تعدّد مصادر الفعل كمثل:

زحزحة	وإزاحة	وانزياح	مقابل
وجذب	وتجاذب	وانجذاب	مقابل
	(وجاذبية أحياناً)		
واختمار	وتخمُّر	وإخمار	مقابل

وكذلـك الجمـوع المختـلفة الصـيغة كأحمـاض وحوامـض وحمـوض مقـابل وجرع وجرعات مقابل وشموع وشمعات مقابل ؛

ثـم الصـفات المختلفة الصيغ – كملفوف وملتف وملفّف، ومليس وأملس، وموجب وإيجابي – مذكرة ومؤنّثة ومثنّاة ومجموعة.

ويبدو لي أن مثل هذه المرادفات في مصطلحات المستوى الثاني تتحدّى صرامة التوحيد.

وبالإشارة إلى ما أوردته من تباينات مصطلحية في جزأي المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مرحلة التعليم العام – في الحيوان والنبات، فإنّي كنت أفضّل لو أن المعجم دمج المترادفات العربية للمفهوم الواحد، في جزأيه، مقابل المصطلح الأجنبي. فلا أجده من المناسب لا علميا ولا تربويا أن يدرس الطالب في حصة النبات مفهوما بمصطلح معيّن، ثم يواجه المفهوم نفسه (وقد يكون في المدرسة نفسها) بمصطلح مغاير في درس الحيوان. إنّ دمج أمثال مواءمة وتكيّف، وسبات وبيات، وتجفيف ونزع الماء، وموطن وبيئة، وتفسّخ وانحلال، وغيرها في الأمثلة التي أسلفت، ليس فقط ممّا يتسامح فيه، بل لعلّه دعمٌ محبّذ.

وإنّي من هذا المنطلق لا أشاطر الإخوان واضعي المعجم الطبي الموحد، الذي نقدره جميعنا، وأقدرهم عالياً (وبعضهم من أعزّ الأصدقاء)، لا أشاطرهم السياسة المتشدّدة التي جروا عليها في اختيار كلمة عربية واحدة مقابل التعبير الأجنبي حتى في مقابل المصطلحات الأجنبية المتعددة المترادفة، للمفهوم الواحد. ولعلّي أرى أنّ مجاوزة ذلك كانت تكون السبيل الأجدى في حالات أكثر بكثير من القليل القليل الذي أردفوه. فماذا يقال في علم الطبيب إذا لم يعرف.

أن النّقي هو النخاع أيضاً،

وأن النُّكاف هو أبو كعيب،

وأن الخراج هو الدّمّل،

وأن القيح هو المِدّة والصديد،

وأن المِرّة أو هي الصّفراء،

وأن الكتف (حسب تسميتهم) هو عظم اللوح أو لوح الكتف،

وأن الأمعاء هي المصران أو المصارين،

وأن الأنيورين)) الذي عرّبوه تيامين هو الفيتامين ب 1،

وأن الهواء الأصفر هو أيضاً من أسماء الكوليرا؟

فهذه وأمثالها هي غالبا الألفاظ التي سيتعامل بها الطبيب مع زبائنه وبيئته، ولا يفترض فيه أن يتعلّمها منهم.

وفي غير الطبيات، كنت أتمنى لو أن المرادف العربي الموحد في المعجم الطبي دعم بمرادف تال (بحرف أصغر أو أقل بروزاً).

فيضاف إلى مسرى كهربائي (المبهم) مقابل قطب كهربائي أو إلكترود،

وإلى زمير مقابل مماكب: مماثل التركيب أو مصاوغ: مشارك في الصيغة

وإلى مَنْسَب مقابل دليل أو معامل أو مؤشر

(مع اعجابي بلفظ منسب كبديل مستقبلي عنها جميعاً)،

وإلى راسب مقابل قُرارة (كمرادف شائع الاستعمال)،

وإلى كوثرة مقابل بلمرة أو مضاعفة الأصل،

وإلى مَعْلَم مقابل وسيط أو بارامتر،

وإلى سفاق مقابل لفافة

وإلى صِفاق مقابل خلب أو بريتون.

ولا أدري ما حظّ نص طبي عربي، ترد فيه أمثال هذه المصطلحات الموحدة، من المفهومية، دون أن يكون لدى القارئ شارح أو نص أجنبي مقابل. فالمنسب مثلا غير محدد، والزمير في اللغة مصدر زمر يزمر، والمسرى الكهربائي قد يكون سلكاً، والسفاق والصفاق، معجميّا بمعنى واحد.

إنّ سياسة دعم المصطلح العربي، بخاصة الذي لما يستقر، بمرادف شائع أو بمرادف يشرحه، تلقى تأييد العديد من المعجميين(13) والمجمعيين(14). إن ردف مصطلح مثل مبدّل مقابل بمرادف مثل عاكس تيّار أو عضو توحيد، أو مثل دعم المصطلح متحرِّض بمرادف مثل عضو إنتاج في مجال الهندسة الكهربائية، هو كسب لا نقص في العمل المعجمي المصطلحي. وإنّي أحيانا أتحمّس لإضافة مرادف أصوغه أو أقتبسه، تابعاً أو مقدّماً، إلى بعض المصطلحات الرجراجة – توسُّماً أن هذا المصطلح ستكون له الغلبة يوماً مقابل اللفظ الأجنبي مدار المفهوم.

ولعلّي في عرض بعض هذه الأمثلة، لا أعرضها شرحاً لموقف بقدر ما هو استمزاج لآراء حضراتكم، سدنة اللغة، في مثل هذا الموقف. مثلا قيل في مفتاح ومفتاح كهربائي ومحوال ومُحوِّلة ومبدِّل ومبدِّلة وقاطع ومفتاح توصيل (مجمع اللغة العربية) ومفتاح قطع ووصل – في مجالي الهندسة الكهربائية والسِّكك الحديدية وسواهما. وصادفت مؤخَّراً المصطلح العراقي مقلاد. واللفظ من مرادفات مفتاح في المعجم – ومدعوم بنص قرآني {له مقاليد السموات والأرض} مكرّر(15)، فتوسّمت فيه المصطلح الموحد الأنسب، وأوردته في النسخة المجدّدة من معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية، مرتبطاً بـ حيثما ترد اللفظة في مختلف السياقات مع مرادف مناسب حسبما يقتضي السّياق.

في التي تغيرت أشكالها وطريقة عملها، ولم يتغير مفهومها، قيل قرص وقرص مدرّج ومينا ومدرّجة ومِنظمة. ويظل المعنى حتى بهذه كلها غير شامل قرص أو مربع الأزرار في الهواتف الحديثة. والمصطلح الذي خطر لي هو مَدالة – وهو على شبهه اللفظي بـ ، يرتبط بالجذر العربي دال الذي له معجميا معنى دار وتداول. وهو مصلطح أتوسم فيه المصطلح الموحد الأنسب مقابل ، في كل أشكالها وطرائق عملها(16).

في مقابل بخاصة الكثير التوارد في الكيمياء بخاصة، قيل حارق ومِحرَق ومحراق وحرّاق ومصباح وموقد ومضرم وملهب، وكلها تطلق على مسمّيات أخرى. وأتوسم في حاروق مصطلحاً يسدّ عنها جميعاً دون إبهام.

مقابل المصطلح في سياق الذوبانية، يقال معلق ومحلول معلّق ومزيج معلق. وفي نقاش لي مع زميل معجمي كان يعالج هذا المدخل لغويا؛ سألته هل المدخل وارد في معجمك؟ قال نعم، ومقابله مستحلب. فقلت له يعني، مستفعل، هذا ما أنصحك به، تقول: مُسْتَعْلَق – وزان مستحلب؛ فرفض هو، وأوردت أنا هذا المصطلح في أكثر من معجم، وقد لاقى شيوعاً.

وفي مقابل درجنا على تدرّج ودرجة الانحدار ودرجة انحدار السّطح. وقال مجمعنا ممال وهي جيّدة، لكنها لا تناسب كلّ السياقات. وقد لفتني لفظ مدروج في مرجع جديد. ولأني أتوسّم فيه المصطلح الموحد المأمول لارتباطه بـ ، أعطيه أولوية في مداخل متعددة يقتضيه السياق فيها.

وأكتفي بمثل أخير من البوادئ، هو السابقة –، التي قيل فيها بعيد وبعديّ ومن بُعد وعن بُعد. والمفردة اللفظة منها لها معانٍ أخرى، والأخريان تثلثان كلّ مصطلح عربي تسبقه –. وأتوسّم في لفظة بعادي مقابلا أنسب لهذه البادئة. فنقول في مثلا مكشاف حرارة بعادي، بدل مكشاف حرارة عن بعد أو من بعد.

المرادف المضاف توسماً في أن يكون المصطلح الموحّد الأنسب، كما المرادف الصحيح الذي يضاف لدعم المصطلح الرَّجراج وتقريبه إلى مفهوم المراجع حتى يأتي وقت يعود فيه ذاك المصطلح بغير حاجة إلى دعم – هذه المرادفات لاتضير العلم ولا المتعلمين، وبالتالي لا تضيرنا.

ما يضير العلم والمتعلمين، ويجب أن يضيرنا، فنعمل جاهدين على تلافيه، هو المصطلحات المضلِّلة – مفردة قصد التوحيد كانت، أو مرادفة. وأذكِّر هنا بما أسلفت حول اختلافنا القطريّ في مصطلحات مثل طحلب وحزاز وأشنة مقابل و و .

أو أن يفهم الطالب السوري بمعنى ذرّة، أو أن يدرس الطلاب في بلد عربي، متسارع الحضارة، فصلاً كاملاً في مقرر الفيزياء عن التفاعلات النووية، عنوانه الانصهار النووي مقابل

، ويتكرّر تعبير انصهار مقابل (17) حيثما ترد اللفظة في سياق النص في الفصل بكامله.

أو أن يقال استثمار مقابل في سياق الصب الإحداقي أو المغلف

،

أو أن يقال قوّة أو شدّة في مقابل حين السياق مقاومة، في مجال الميكانيكا كما في

،

أو أن يقال ثنائية المغنطيسية مقابل و غير ،

أو أن يقال في معجم ممتاز بعد تعريف جيد للمكروفون وصورة له « وهو المعروف بالسماعة ».

أو أن يقال ردّ فعل مقابل مصطلح في سياق التفاعلات الكيماوية(18).

أو أن يقال استضواء بالحك مقابل في معجم فيزيائي مجمعي حديث، ثم نجد أن استضواء هو المرادف الذي يخص به المرجع نفسه مصلطح . وقد سبق أن تعرّفنا الفرق المميز بين المصطلحين (ص20).

أو أن يقال رافد مقابل مصبّ خليجي،

أو ملائمة (كذا) مقابل جدوى،

أو تماسك مقابل استقرار؛

وغيرها كثير مما يتجمع لديّ في بطاقات خلال ممارستي اليومية، في مجال المصطلحات.

وقبل الانتقال إلى بحث توحيد المصطلحات – في المستوى المصطلحي الثالث، الذي حدّدناه، للمصطلحات المميزة، تحضرني مقولة للعلاّمة سيبويه حول طبيعة اللغة وكلام أهلها، يقول فيها "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين »(19)، لأشير إلى أنه، كما إن لنا في اختلاف اللفظين والمعنى واحد دعماً عند الحاجة للمصطلح، فإن لنا أحياناً في اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين إيجازاً مصطلحيّاً توحيديا وإثراء معنويا لبعض ألفاظ اللغة، تجاري فيه الألفاظ المتعددة المشتركة فيها. إني كثيراً ما أجد المقابلات التي نصوغها لمصطلحات أجنبية مركّبة تفاوتاً للفظ الصفة فيها، يضعها في رتبة المترادفات المتباينة، في حين يمكن للمشترك العربي أن يؤديها بدقة كما يؤديها اللفظ الأجنبي:

مثلا يقال في أشعة حادّة(20) (معجم الفيزيقا الحديثة م ل ع)، و ~ نفّاذة و ~ عالية الاختراقية،

وفي صمام صلْد (معجم الفيزيقا الحديثة)،

و ~ عالي الخلاء و ~ ضعيف الاختراقية و ~ خفيض الاختراقية و ~ ناقص التفريغية –

هذا في سياق الالكترونيات، وفي سياقات أخرى، يقال:

في سلبيّة شديدة التباين

وفي ~ منظّف لا يتحلّل حيويًّا

وفي ~ شحم جامد

وفي ~ شراب عالي الكحوليّة

وفي ~ غزل شديد الفتل.

والتعـبير صلد الذي استخدمه معجم الفيزيقا لمجمع اللغة العربية في مصطلحه الثاني أعلاه صمام صلد مقابل مرشّـح أن يسـتبدل بهـا جميعـا في مختـلف السـياقات فـنقول: أشعة صلدة وإشعاع صلد وسلبيّة صلدة ومنظِّف صلد، كما نقول في الاستخدام المألوف مادة صلدة.

ولولا ترسّخ تعابير شاعت بوصف مغاير لقلت

وعملة صلدة مقابل ~

وماء صلد مقابل ~ ، الخ.

وهكـذا نحقق مطلبا توحيديا بأن يكون للكلمة الأجنبية الواحدة المقابل العربي نفسه حيثما دخلت في جميع تراكيبها أو مشتقّاتها.

ولسـت آتيـا بجديـد، فهـذا من كلامهم حسب معلوميّة سيبويه في طبيعة اللغة وكلام أهلها، والعربية ألفته في مختـلف المجـالات حيـث السـياق يحـدد المفهـوم المتعدد للفظ الواحد، كما في حاد مثلا – فنحن نقول: رائحة حـادّة وطعـم حـادّ ومنحدر حاد ونقاش حادّ ونغمة حادّة وسكِّين حادّ ولسان حادّ وبصر حادّ وفرق حاد وذهن حاد ومزاج حادّ...الخ.

فهـي كـلها موحـدة الـلفظ الصـفة الـذي له في كل سياق معنى متعارف محدد مختلف. وكلها بفضل توافقية الفكر الإنساني تحملها أيضاً اللفظة الانكليزية .

وأحياناً تترادف مصطلحاتنا مقابل المصطلح الأجنبي الواحد في السياق نفسه، كما في سياقات أخرى:

فـنحن نقـول في الأجنـبية قطـب وقطـب الـتيار ولاحب ومسرى، وقد نضيف إليها جميعاً لفظـة كهـربائي – هـذا في الجهـاز الكهـربائي، أو في الـبطارية. وفي سـياق اللّحام نقول فيها: قضيب لحام وقطب لحـام، وربمـا سـواهما. بيـنما الـلفظ المشـترك إلكـترود بالـتعريب الـلفظي، وهـو مصـطلح مجمعـي يؤديهـا جميعا لـلمفهومين؛ فلعلّه مفرداً أو بمرادف وحيد مثل لاحب يوفِّر علينا الترادف غير المجدي ويفيدنا دقة دلالة وتوحيداً مصطلحيا في المجالات المتخصِّصة.

وبـالعود إلى سياسـة المتشدِّدين في قضية التوحيد المصطلحي المطلق في أن لا يكون للمصطلح الأجنبي الواحد، بـل لـلمفهوم العلمي الواحد، إلاّ مقابل عربي واحد؛ ولا يكون المصطلح العربي الواحد مقابلا لأكثر من مفهوم علمي واحـد، نقـول: لا خـلاف في ضـرورة ذلـك، طبعاً، في نطاق المصطلحات، التي بحكم خروجها إلى مفهوم علمي أو تقني محدّد ومتميز، اتخذت ما أسميناه المستوى المصطلحي الثالث فلا تقبل الترادف ولا التباين ولا المشاركة، وإلاّ اختلف المفهوم وضاع المعنى.

وخشـية أن يكون المثال على تراتبية هذه المصطلحات، بخاصة المتقاربة المعنى معجميا (وكان من مادة ضاء) معقَّداً، أدعم ذاك المثال بمثل أبسط آخر من مادة طفا.

المعجم العربي يقول(21):

طفا الشيء فوق الماء يطفو طفْواً وطُفُوًّا: علا ولم يرسب،

و ~ الفرس: شمخ برأسه، و ~ الثور: علا الأكم،

و ~ الظبي: خفّ على الأرض واشتد عدوه،

و ~ فلان: مات، و ~ في الأمر : دخل،

و ~ فوق الفرس: وثب،

و ~ ت الخوصة فوق الشجرة: ظهرت، فهو طافٍ وهي طافية، فتكون هذه كلها مفاهيم مصطلحية في المستوى الأول – المستوى اللغوي المعجمي الذي لا يدَ لنا فيه؛ إذ لا مجال ولا مصلحة بل صلاحية أحد في المساس به.

فإذا قلنا الطفو كظاهرة فيزيائية أرخميدية، إن شئتم، تنطبق على الموائع – سوائل كانت أم غازات – بمفهوم ، نقلنا المصدر إلى مستواه المصطلحيّ الثاني كمرادف للعَوم: شيءٌ يطفو أو يعوم على مائع.

لكن حين نحدِّد مصطلح الطفويَّة لمفهوم « مقدار دفع السائل صعداً على جسم مغمور فيه » – طفا أم لم يطف (لاحظوا: طفا أم لم يطفُ) نكون مع مصطلح مميَّز – مصطلح من المستوى الثالث – لا يسدُّ لفظ آخر مكانه. وأمثال هذه المصطلحات، والكثير منها جاءنا ويجيئنا عادة في المستوى المصطلحي الثالث مباشرة – من أمثال و و و و وآلاف وآلاف غيرها – لدينا مقابل كل منها عدة مرادفات؛ هذه هي المصطلحات التي يجب أن تركز جهودنا على توحيدها – بل يتراءى لي أنها هي المصطلحات التي يمكن، حسب طبيعة اللغة، توحيدها. وتكون مقولة سيبويه الثلاثية صحيحة في المصطلحات كما هي صحيحة في طبيعة اللغة وكلام أهلها.

توحيد المصطلح العلمي :

ونحن إن حصرنا قضية توحيد المصطلحات في المستوى الثالثي المميز، نكن قد حللنا بعض المشكلة لاكلّها. فالمصطلحات العلمية في هذا المستوى، يكاد لا يحصى ما تجمّع منها اليوم، وهو إلى مزيد. على ذمّة مدير مكنزة (بنك معلومات) شركة سيمنز، في ألمانيا، تبلغ المفاهيم المسجلة لديهم في الهندسة الكهربائية فقط أربعة ملايين – ولا نتطرّق إلى مواضيع أخرى في علوم الكيمياء والحيوان والطب والنبات، وهي بالملايين أيضاً. فالمصطلحات العلمية ليست مشكلة اللغة العربية وحدها – إنها مشكلة كلّ اللغات. إنّ كلمات المعجم –أي معجم في أي لغة– تعدّ في أقصاها ببضع مئات الآلاف، حوالي نصف مليون في معجم وِبْستر الدولي الثالث؛ وأكسفورد الكبير يزيد على ذلك بحولي مئة ألف. ولا أدري إن كان لدينا في العربية على ثرائها في عدة مجالات، وفي أوسع معاجمها، ما يزيد على المئتي ألف من الألفاظ العاملة.

لعلّ بعض المتشدّدين في إعمال التوحيد لفظة بلفظة يتمثلون بما حققه التوحيد في مجالات المقاييس والمواصفات في المجال الصناعي –فأنت حين تعوزك قطعة غيار مهما كانت، أصمولة لبرغي أم إطارا لدولاب أو صماما لتلفاز، تطلبها من مستودعها بالمواصفات المقيسة الموحدة –دون حاجة إلى أن تحمل معك البرغي أو الدولاب أو التلفاز، فتأخذ القطعة البديلة بمواصفاتها في أي بلد كنت. وقد سمعت هذا من أشخاص، كما سمعته في ندوات. والرد على منطق هذه المقولة يتلخص في أمرين –أوّلهما إنّ ما ينطبق على الصناعة والمصنّعات، على كثرتها، لا ينطبق على اللغة؛ ولا حتى على اللغة المصطلحية العلمية في غير المستوى المصطلحي المتميز –ما أسميناه المستوى الثالث. وكل محاولة لاستحداث لغة للعلم مستقلة عن اللغة عامة لا أجدها أنجح من العدّة اللغات الحاسوبية التي غدت بالعشرات، ولا إلى مآل غير ما آلت إليه اللغات المصطنعة خلال هذا القرن وأواخر سابقه –من الإسبرانتو إلى اليوروبا إلى الإنتر لنغوا والمونْد لانغ والسِّمبلو والإكسيرسّو حتى الانكليزية الأساسية وسواها. إن غاية ما نرجوه هو أن ننجح في توحيد مصطلحات المستوى الثالث، وهي ليست بالمهمة السهلة.

والأمر الثاني، الذي نفتقده دوماً، هو أنّ ما حققته المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس، ما كان يتحقق رغم الحاجة إليه محليا ودوليا، لولا أن مكاتب المواصفات والمقاييس في كل بلد عربي هي مؤسسات رسمية تتبع وزارات معينة؛ وما تقره يصبح، عن طريق الوزارة المعينة، قرارا حكوميا. وهذا ما لا تحظى به، لا المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ولا المؤتمرات والندوات والمكاتب التي ترعاها هذه المنظمة، كما لا تحظى به أيضا الهيئات العلمية أو المجمعية داخل البلد العربي نفسه.

والذي يتتبع مسار حركات التوحيد المصطلحي على الصعيد العالمي يجدها في غالبيتها دولية الدعم من حكومات الدول، كما في دول المجموعة الأوروبية التسع، واتحاد أكاديميات الجمهوريات الناطقة باللغة (أو على الأصح باللهجات) الإسبانية؛ كما نجدها من حكومة القطر نفسه، كما في إسرائيل وكندا والاتحاد السوفييتي سابقا. حتى في فرنسا نجد أن توحيد المصطلحات الصادرة عن أشهر خمس مؤسسات فرنسية لغوية ومصطلحية عريقة لم يتم إلا حين بادرت اللجنة العليا للغة الفرنسية في باريس التي يرأسها رئيس الجمهورية نفسه، بتأسيس الجمعية الفرنسية للمصطلحات عام 1985 مكلفة بتنسيق نشاطات المؤسسات الخمس(22) تلك.

ونحن كان لنا مكتب تنسيق التعريب الذي تعرفون منذ 1961 –وهو قد أصدر قرابة الثلاثين معجما بهدف توحيد المصطلحات(23). والذي لا ينكره أحد على إنجازات مكتب التنسيق، أنه أسهم في إيصال المصطلحات المجمعية، وبخاصة مصطلحات مجمع اللغة العربية في القاهرة، التي تحظى بثقة وتقبل واسعين بين العلماء والمثقفين أينما كانوا، فحملها إلى الكثيرين في العالم العربي ممن لم يك يتاح لهم، لولاه، الاطلاع عليها. لكنه حين راح منذ عام 1972، بتكليف من اليونسكو العربية (ألكسو) يستكمل هذه المصطلحات، من مختلف المصادر، لم يتسن له مجاراة المستوى الموازي والمنشود– لأسباب غير خافية على مسؤوليه. والآمال معلّقة على

اتحـاد المجـامع العـربية فلعـلّه المؤهـل الأول الأجـدر لـلقيام بمهمة التوحيد المرجوّة والإشراف على مخططات هذا التوحيد.

مُخطَّطُ تَوحيد

ينقسـم هـذا المخطّـط في مجمله إلى قسمين: عاجل وآجل –القسم العاجل ينطوي على تعاون اتحاد المجامع العـربية ومكتب تنسيق التعريب لتأليف هيئات دائمة شبه متفرغة، بمشاركة أعضاء من المجامع كلها. فتحصر لها مصـطلحات الموضـوع المعـين مـن المعـاجم أو المسارد أو الكتب المؤلّفة والمترجمة كما من الذخيرة اللغوية في المؤلّفات التراثيـة الموسوعية، وتدرس هذه المصطلحات مع مقابلاتها الأجنبية لاستنساب المصلح الموحد (أو المصطلح الموحد والمـرادف الداعـم أو المرشـح كـرديف إن اقتضـى الأمـر) مقـابل المصـلطح الأجـنبي، آخذيـن بالاعتـبار توافـق هذه المستنسـبات في المواضـيع العـلمية المترابطة– كما أسلفت في الأمثلة من جزأي المعجم الموحد للمصطلحات العلمية في مرحلة التعليم العام. فيقال مثلا في بعضها:

لا صبغي، لا لوني مقابل

(باعتبار صبغي أقرب إلى تلوّنية الأنسجة بالصبغ، وتبقى أولوية لالوني للفيزياء)،

ومواءمة، تكيّف

(باعتبار تكيّف قد تأخذ الأولوية مقابل)،

وسبات شتوي فقط مقابل)،

ونزف فقط مقابل ، ولولبي، حلزوني مقابل

(باعتبار حلزوني ذات ترابط عضوي بالحيوان المعروف).

وهكذا يحدد ما يقال في قطب، مسرى، لاحب والمعرب إلكترود مقابل ،

وفي محوال، مغيّر، محوِّل طاقة، مُحوِّر طاقة، متحسِّس وتِرجام – مقابل ،

وفي تزامر، مجازاة، مصاوغة والمعرب دون تحوير أيسومرية، مقابل .

وفي مسامحة ومسايرة وقبولية وسماحية ومطاوعة مقابل ،

وفي تقبلية ومهاودة ومطاوعة وقبولية وتأثرية مقابل ،

وفي مسـامت المغنطيسـية وثنائي المغنطيسية، وممغطس ومستمغظ ومتسامت المغنطيسية والمعرب بارامغنطيسي مقـابل ، وهكـذا –دون أن تقتصـر الهيـئة التي تعالج المصطلحات الفيزيائية على الفيزيائيين فقـط، ولا الهندسـية عـلى المهندسـين فقـط، ولا الطـبية عـلى الأطـباء فقط، كما جرت العادة في هيئاتنا واتحاداتنا المصطلحية وفي معاجمنا الموحِّدة والموحَّدة التي صدرت.

وفي حـال المصـطلحات الأجنـبية المـتقاربة تعـالج هذه كمجموعة أمام المصطلحات العربية المقابلة لكل منها؛ فتمحص المصطلحات الأجنبية مقابل مرادفاتها العربيات لتثبَّت أو يعاد توزيعها بالشكل الأنسب، واحداً لواحد:

، ، ، ، ، ،

، .

مـع مقابلاتهـا العـربيات: ذبذبـة وتذبذب واهتزاز وترجُّح (أو ارتجاح) وتراوح وخطران ونوسان وسواها، أو المصطلحات:

، ، ،

مع المرادفات العربية: معاوقة، مقاصرة، ممانعة، مقاومة، أو المصطلحات:

، ، ، ، ،

مع المرادفات: صَلْد، صُلْب، جامِد، قصِف، يابس، قامسٍ، جاسىء،

أو المصطلحات :

، ، ، ،

مع المرادفـــات :

مُرونيّة، لَدانة، مُرونة، مطواعية، مَرانة، طواعِية،

أو المصطلحات :

، ، ، ،

مع المرادفات : هايأ، كيَّف، ضبط، هيّأ بالمُكيّفات، عدّل.. الخ.

ومن الهندسيّات، المصطلحات:

، ، ، ،

مقابل المرادفات :

مصنع، مشغل، ورشة، محترف، منشأة، معمل،

والمصطلحات :

، ، ، ، ، ،

مع المرادفات:

مِزلاج، رِتاج، ترباس (درباس)، قُفل، غال، مِغلاق، غلَق،

ومن الكيمياء أمثال المصطلحات :

، ،

مع المرادفات: تركيب، بنية، تخليق،

والمصطلحات:

، ، ،

مع المرادفات: تفكُّك، حلّ (ومحلول)، انحلال، تحليل،

ومن الجيولوجيا أمثال المصطلحات:

، ، ، ، ، ،

مقابل المرادفات دهر، حقب، حين، زمن، عصر، فترة (أو حقبة)، أوان؛

ومن الزراعة أمثال المصطلحات:

، ، ، ، ، ، ،

مقابل المرادفات: غابة، حرجة، حُرش، أيكة، مَشْجَر، دغَل، أجَمة، بيّارة، منسَغة...الخ.

وهكذا يُحدَّدُ لكل مصطلح أجنبي مقابله العربي الأوفق والأنسب.

وفي حال المصطلحات الأجنبية المتعددة، مقابل المرادف العربي الواحد، يحدد أو يصاغ مصطلح عربي مميز خاص لكل مصطلح أجنبي.

فلا نقول مثلا "وسيط" مقابل المصطلحات الأربعة:

، ، ، ،

ولا "استبدال" مقابل الثلاثة:

، ، ،

ولا "منفصل" مقابل الثلاثة:

، ، ،

ولا " تناظر" مقابل المصطلحات الخمسة:

، ، ، ، ،

ثم "تماثل" مقابل المصطلحات السبعة:

، ، ، ، ، ،

.

أو « رئيسي » مقابل الثلاثة:

؛ ، ،

وأمثال هذه المجموعات كثير.

وفي حال تعذّر تأليف هذه الهيئات المشتركة، وحتى قبله، يمكن أن نبدأ بما لدينا فتقوم لجان متخصصة من بين أعضاء كل المجامع العربية – كل موضوع اختصاصها –في نطاق اتحاد المجامع العربية وإشرافه، مصطلحات الموضوع المعين التي كان أقرها كل مجمع مستقلا عن المجامع الأخرى، فتنسقها في ما بينها أو تقر ما أصدره أحدها فيها (كما سبق لمجمع اللغة الأردني إقرار كل المصطلحات التي أقرها مجمع اللغة العربية)– وتصدرها، لعله حينئذ بالتعاون مع مكتب تنسيق التعريب، باسمها مجتمعة وبمباركة المنظمة العربية للتربية

والـثقافة والعلوم. وأتصور أن يكون لمثل هذا الإصدار دعم من الجهات الرسمية، وتقبل بلا تحفظ من جميع الأوساط المصطلحية والمعجمية في كل بلد عربي.

وينـبغي أن تترافـق عمـليات الـتوحيد هذه، على المصطلحات تحديدا وضبطاً واستكمالا، مع الرفد المتواصل بكـل جديـد مـن المصطلحات المستحدثة عن طريق رصدها في مصادرها في حينه –من الدّوريات والمنشورات والكتب في لغـات العـالم المـتقدم. والمرشـح لـلقيام بمهمـة كهذه هم طلاب وأساتذة وخريجو جامعة المصطلحات التي سمعنا وقـرأنا مشـروعا بهـا، كـان عرضه سيادة الزميل رئيسنا في مجمع اللغة العربية الأردني الدكتور عبد الكريم خليفة. وهـذا المشـروع هـو قـوام القسـم الآجـل مـن مخطط التوحيد العتيد الذي أتصوره– آجلا نترقت نتائجه، وعاجلا في ضرورة التحضير له.

إنّ قـرابة عشـرين جامعة في العالم الغربي اليوم تُدرِّس علم المصطلح والمعجمية؛ وفي العديد منها تقدم المعاجم المعدة في موضوع الاختصاص أطروحة تؤهل صاحبها لدرجة الدكتوراه(24).

والعـالم العـربي في حاجـة أشـد مـن سـواه إلى جامعة من هذا القبيل يتخرج لنا فيها جيل، بل أجيال، من العامـلين في اختصاصـاتهم– كـيماويون وفيـزيائيون وأطـباء وصـحافيون بخاصـة. ولا يسـتغربن أحـد تشديدي على صـحافيين، فـليس أفعـل مـن وسائل الإعلام في مجال المصطلحات وضعا وتوحيدا، إن تُطَعَّمْ بصحفيين مصطلحيين عـلماء –ولا مـثل أفضل من المقتطف، أيام ضم فريق العمل فيها أمثال يعقوب صَرُّوف وفارس نمر وأنستاس الكرملي وشِبْلي الشميِّل.

وينـبغي أن يدعـم مخطـط التوحيد هذا في قسميه العاجل والآجل بوسائل نشر على شكل دوريات أو معاجم متخصصـة وعامـة، توصل هذه المصطلحات إلى مستعمليها فتقطع الطريق على استمرارية تجدد مشاكل المصطلحات وتباينها.

وقـد لحظـنا بالفعل أن المعجم الجيد، في موضوع معين، الذي يصدر مزامنا لانتشار الموضوع المعين، يكون ذا مفعـول توحيـدي ظاهـر في مصطلحات ذلك الموضوع. وأمثل على ذلك بالمعجم العربي الموحد لمصطلحات الحاسبات الإلكترونيـة الـذي صـدر عـن المـنظمة العربية للعلوم الإدارية عام 1981، فكان مرجعا موحدا لكثير من المؤلفات والمعاجم التي صدرت تاليا في العالم العربي(25).

لكـن كـل ما ذكرناه أو تخططونه، حتى لو تحقق، لن يكون فاعلا حقا ما لم توضع هذه المصطلحات موضع التطـبيق العملي العلمي اليومي في مداولات العلماء والمدرسين والدارسين ومناقشاتهم ومختبراتهم وتنتشر في أوساطهم وبيـئاتهم. وأني لنا ذلك وجامعاتها السبعون في العالم العربي إلا أقل القليل منها، تدرّس العلوم –لاسيما التقانيات والطـب والهندسـات بالـلغات الأجنـبية، حـتى ليجد الكثير من المعاهد الثانوية والمتوسطة وأحيانا الابتدائية وأهل الطلـبة أنفسـهم مـنطقا في تدريـس مـواد العـلوم والرياضـيات بالـلغة الأجنـبية. فيـتخرج الجيـل الطالع غريبا عن المصطلحات بلغته القومية –حتى ليأنف من استخدامها عاملا، أو يتهرب من التدريس بها أستاذا في ما بعد.

اللغة العربية نالت اعتراف العالم منذ 1973 وأصبحت لغة رسمية مع اللغات الخمس الكبرى في مؤسسات هيئة الأمم المتحدة كافة عام 1982(26). لكن العالم العربي، للأسف، يتنكر للغته.

وأنهي كلمتي بهذه التذكرة العبرة لنا جميعا – في أي موقع كنا:

أوائل العشرينيات من هذا القرن افتتحتْ الجمعيةُ اليهودية الألمانية "معهد التخنكو" –التكنولوجية– في حيفا، الذي أنشأته بأموالها وجهد خبرائها؛ وارتأت الجمعية جعل الألمانية لغة التدريس فيه، على اعتبار أن العبرية ليست متطورة بالقدر الذي يسمح باستعمالها في حقل العلوم والتكنولوجية، فقامت الدنيا بموجات الاحتجاج وإضراب المعلمين والتلاميذ، تلاها استقالة الكثيرين من العاملين في المدارس الألمانية –معتبرين ذلك إهانة قومية، فهدّدوا، بل وأنشأوا فعلا، مدارس عبرية بدلاً منها. فتراجعت الجمعية وتمّ للمعتزين بلغتهم الواهنة ما أرادوا.

يا سادتي

لقد وجهتم التوصيات مرارا وتكرارا في مؤتمرات عديدة سابقا إلى الحكومات لدعم استخدام العربية كلغة التدريس العلمي والمهني في مراحل التعليم كافة – والاستجابة حَنجرية!

هلاّ وجّهتُم التوصيات آنيا وتاليا إلى الرأي العام العربي من مشرقه إلى مغربه، إلى الجسم الطلابي عامة وأولي أمرهم، إلى الصحافيين ومسؤولي الإعلام والكتّاب والأدباء، إلى الجامعيين –شباباً وأساتذة– جيل المستقبل وقادته– علّهم يتحركون لتصحيح هذا الوضع الشاذ. فلعَلَّ الخلل ليس في القمة بقدر ما هو في القاعدة – وإلاّ ما كانوا على هذه الإهانة القومية!

الهوامش:

1) سورة المائدة، الآية 99، سورة يوسف، الآيتان 10 و 19.

2) والذيـن يـريدون تـرجمة الاسـم العلمي للتوحيد، سيقولون "درّاق الذّئب المغدّي"

.

3) تم مؤخـرا الاتفاق على تسمية هذه العناصر أسماء موحدة تبدأ بأونيل ثم الرقم، فنقول في العنصر 104 أونيلكوادريوم وفي الـ 105 أونيلينتيوم وأونيلهِكسيوم في الـ 106 وهكذا.

4) معجم الالكترونيات المصور

، - ، ..

1982.

يعرف في هذا السياق بأنه مصطلح مهجور لـ .

. 1:

2:........

5) هـنالك مـلحق بالمبادئ الأساسية التي أقرت في هذه الندوة (التي كان لي شرف المشاركة فيها) في نهاية هذا الكتيب.

6) انظـر المدخـل في "معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية" – انكليزي– عربي، الشهابي – الخطيب، مكتبة لبنان.

أو معجم الألفاظ الزراعية، فرنسي – عربي، الأمير مصطفى الشهابي – مكتبة لبنان.

7) معجم الجيولوجيا – 1990، المعجم الجغرافي – 1974.

8) المقارنة الأولى لم تشمل إلا مداخل حرف في المعجمين، أما الثانية فشملت حروفا عدّة.

9) « تـباين مصـطلحات المعـاجم العـلمية وأثـره عـلى الـتعريب »، د.صادق الهلالي، مجلة اللسان العربي العدد 30 ص219.

10) مجمع اللغة العربية، 1986.

11) معجم مصطلحات العلم والتكنولوجيا – معهد الإنماء العربي 1982 – 1988

12) المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية، ومحيط المحيط – بطرس البستاني.

13) في معجـم انكـليزي – انكـليزي حديـث – صـدرت طبعـته الثالـثة 1990، أحصـينا حوالـي 500 مترادفـة، تؤلـف زهاء عشرة في المئة من مداخله البالغة حوالي 4500. ولا نطلب نسبة مرادفات أكثر من المتشددين.

14) في مجموعـة القـرارات العلمية الصادرة عن مجمع اللغة العربية، القاهرة، قراران ينص أولهما على أن « الاصـطلاحات العلمية والفنية يجب أن يقتصر فيها على اسم خاص واحد لكل معنى". ويعدله ثانيهما بعد بضع جلسات بأن تضاف كل لفظة سرت في البلاد العربية إلى جانب ما وضعته اللجنة المجمعية ».

15) الآية 63 سورة الزمر والآية 12 سورة الشورى.

16) هـذا الاشـتقاق مـثيل لاخـتيار الإخـوان في العـراق مصـطلح ساتل من الجذر العربي ستل، بمعنى تبع مقـابل ، وأتوسـم أنـه المصـطلح الموحـد الأنسـب لشـبهه الـلفظي بـ وارتباطه بالجذر العـربي سـتل. بخـلاف مصـطلح « ديـال » الموحـد مقابل في المعجم الطبي الموحد. فلعل ما جاء في جزأي المعجم الموحد لمصطلحات العلوم في الحيوان والنبات ديلزة وميْز غشائي، مترادفين، المقابل الأفضل.

17) هذا المقابل صحيح لـ في سياق تغير الحالة بالحرارة، كما في انصهار الجليد.

18) والمرادف صحيح أمام المصطلح في سياق ميكانيكي، كما في قانون نيوتن الثالث.

19) كتاب سيبويه، ج1، ص 7، مطبعة بولاق 1316هـ.

20) مـن اللافـت أن معجـم الفيزيقا إياه يقول مقابل "أشعة لينة". ولا أرى أن "لينة" هي الضد الملائم لـ « حادة » كما يوردها مقابل .

21) المعجم الوسيط، ومحيط المحيط – مادة طفو.

22) هذه المؤسسات هي :

ç

é ç

é é

é é ç

é

23) هنالك ملحق بأسماء هذه المعجمات في نهاية هذا الكتيب

24) وقـد عـرض علينا في دائرة المعاجم اثنان منها للنشر – لكنها مع تميزاتها التقنية تظل مبتسرة تعوزها الحنكة والدراية والشمولية.

25) في مقارنـة أجريـناها في دائـرة المعـاجم، مكتـبة لبـنان، عـلى مداخـل الثلاثة الأحـرف ، و مع مقابلاتهـا في ثلاثـة معجمـات صـدرت تاليـا في موضوع الحاسوب والحوسبة لمؤلفين من الكويت ولبنان وجماعة من الخبراء في المملكة العربية السعودية، وجدنا التطابق تاما في أكثر من تسعين في المئة من مداخلها المشتركة.

26) ولعـلّ أفضـل مجموعـة مترجمـين في أي مؤسسة أعرفها هي مجموعة الترجمة في الأمم المتحدة، وهي تضـم مهندسـين وأسـاتذة جـامعيين ولغويـين ومحـامين وصـحافيين مـتفرغين – وكـلهم منتقون من ذوي الكفاءات العالية.